الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية، الصعوبات والعوائق

د.عبد الباسط هويدي

جامعة الشهيد حمّه لخضر بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

يعمل المجتمع من خلال التنشئة الاجتماعية على غرس قيمه واتجاهاته ومعاييره في الأفراد ويشكل بذلك أرضيته الإدراكية أو إطاره المرجعي. والمجتمع يقوم بذلك من خلال العديد من المؤسسات ومن أهمها المدرسة.ولا شك أن للطفل مكانة هامة في المجتمع لذا فإن تنشئته وتعليمه وتلقينه القيم يعد أحد أهم ادوار المدرسة.

وسوف نحاول من خلال هذا المقال التعرف على المهام الاجتماعية للمدرسة والعوائق التي تحول دون أدائها دورها المنوط بها، كما سنتعرف من خلال هذا المقال على مكانة الطفل في هذه المؤسسة وأهمية تعليم الأطفال، وعلى التكامل بين المدرسة وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية بهدف غرس القيم المجتمعية التي تكفل الحفاظ على الناشئة من الآفات الاجتماعية.

Abstract:

Society is working through socialization to instill values and trends and standards in individuals, and so it forms the floor cognitive or referential framework, The Society does so through a variety of institutions, the most important school.

There is no doubt that children have an important place in the Society so the upbringing, education and teach values are one of the most important roles of the school .

We will try through this article to identify the social functions of the school and obstacles that prevent their performance role assigned to it, As we will discuss in this article to the status of the child in this institution and the importance of children's education, and the integration between the school and the rest of socialization institutions in order to instill Society values that ensure the maintenance of the emerging social ills.

مقدمة:

تعتبر المدرسة وسيلة المجتمع لتعليم الناشئة وتهذيبهم وتربيتهم وإعدادهم للمستقبل وهي بذلك تؤدي عدة مهام أهمها ما يتعلق بالمحافظة على بقاء هذا المجتمع و استمراره و ثبات نظمه و معاييره الاجتماعية وقيمه وخبرات ومعارف الأجيال السابقة. و تحقق المدرسة هذا الهدف بنقلها التراث الثقافي للجيل الجديد. وبذلك يكون دور المدرسة هو تنمية السلوك الإنساني وتطويره وتغييره لكي يناسب كل ما هو سائد في مجتمع ما. فالمدرسة تهدف إلى إعداد وتشكيل الفرد للقيام بأدواره الاجتماعية في مكان ما وزمان ما، على أساس ما هو متوقع منه في هذا المجتمع... والمدرسة تنقل لأفراد الجيل الجديد المعارف والخبرات والمهارات والاتجاهات والقيم والمعايير الاجتماعية وأنماط السلوك المتعارف عليها والمحددة ثقافيا...وانطلاقا مما سبق فإن ما تقدمه هذه المؤسسة للطفل يشكل أهمية بالغة لمستقبل الطفل والمجتمع على السواء، وهو ما سنعرض له بالدراسة في هذا المقال.

1- الدور الاجتماعي للمدرسة:[1]

1-1- الأدوار المحافظة للمدرسة:

لازالت المدرسة تحافظ على بعض أدوارها التقليدية، ومن أهمها:

أ- نقل التراث الثقافي: عن طريق المدرسة يمكن نقل الثقافة من جيل إلى جيل وهذه الوظيفة تقوم بها جنباً إلى جنب مع البيت.

ب- تبسيط التراث الثقافي: تقوم المدرسة بتحليل التراث الثقافي وتبسيطه لإعطائه للتلاميذ في مستويات ووفق مراحل نموهم، كما تعمل على تنقية التراث مما قد يعتريه من شوائب.

ج- الانتقاء والاختبار: تقوم المدرسة بتقويم التراث واختيار المناسب منه، كما عليها أن تضع معايير الانتقاء، كما تقوم بعملية التقويم والاختيار للوصول إلى الإيجابيات وتأكيدها ومعرفة السلبيات وتجنبها .

د- الاقتصاد الثقافي: أي التمييز بين العناصر القديمة والجديدة وتحقيق التكامل السليم بين فروع المعرفة بما يسهل تناولها من خلال ابتكار وسائل وأساليب جديدة والبعد عن الأساليب القديمة التقليدية في تقديم المواد الدراسية للطلاب.

هـ- التماسك الاجتماعي: إيجاد نوع من التكيف والانسجام لأبناء المجتمع الواحد بنشر الاتجاهات الثقافية التي تعمل على تآلف وتماسك المجتمع وتحقيق الولاء والانتماء للوطن وتحقيق المصالح المشتركة.

1-2-الأدوار التجديدية للمنظومة التربوية:[2]

أ- التكيف الاجتماعي: تقوم المدرسة بإيجاد درجة عالية من المرونة للتعامل مع المستجدات والمتغيرات وبالتالي تنمية أنماط سلوكية جديدة تتلاءم معها .

ب- تحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات: تقوم المدرسة بتحرير كل فرد من الانطواء داخل جماعته ليدخل في معترك الحياة في البيئة الأوسع.

ج– تنمية أنماط اجتماعية جديدة: لا تقتصر وظيفة المدرسة على الجوانب المعرفية أو التعليمية بل تمتد وظيفتها إلى الجوانب الشخصية والاجتماعية للطلاب وتربي فيهم العادات والقيم السوية التي يبتغيها آبائهم ومجتمعهم.

د– تنمية الابتكار والإبداع الفني: المدرسة تنمّى لدى التلاميذ المواهب من خلال تكامل الخبرات في المناهج واستخدام الأساليب والتقنيات الحديثة في التدريس والابتعاد عن الحفظ والتلقين وأن تعمل على إثارة اهتمامات وميول ورغبات التلاميذ بالأنشطة المتعددة.

هـ– إمداد الأفراد بالمهارات لأداء الوظائف المختلفة: أي تزويد المجتمع بأعضاء مؤهلين للقيام بأدوار ووظائف في مجتمعهم من خلال تأهيلهم لتولي الوظائف في مختلف المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمهنية، والنظام التربوي ليس من مهامه فقط تهيئة الفرد للقيام بوظيفة معينة بل تمكنه كذلك من أداء دوره كمواطن واع بمتطلبات الوضع الراهن وباهتمامات شعبه[3].

و– الاختيار التعليمي والوظيفي: بإعطاء التلميذ فرصة انتقاء التخصص العلمي سواء في المرحلة الثانوية أو الجامعية وذلك بترك الطالب يختار ما يناسبه تحت مراقبة دقيقة للعملية التقويمية المدرسية.

ي– المساعدة على تحقيق الحراك الاجتماعي الموجب: توفير بيئة ملائمة للأفراد تسهم في تنمية قدراتهم واستعداداتهم للحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية داخل المجتمع وبهذا يصبح المجتمع مفتوحا لحراك أعضائه.

ز– المراجعة الناقدة للمذاهب المعاصرة: بأن تكون قادرة على التعامل معها بحيث تستفيد منها مع المحافظة على قيم ومعتقدات المجتمع، والتصدي لكل ما هو دخيل على المجتمع من أفكار لا تتناسب مع أهدافه ومعتقداته.

2– الطفل والمدرسة:

هناك اعتقاد سائد بأن المدرسة تعيد إنتاج المجتمع، والمدرسة ليست مؤسسة تقنية توجد من ذاتها ولأجل ذاتها ولكنها جزء من التفاعل الاجتماعي للمجتمع حيث تنعكس مميزاته ومطالبه فيها[4]، والمدرسة تبعا لذلك لا يمكن عزلها عن الجو العام السائد داخل المجتمع، سياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وهذا ما يفسره العدد المتزايد من الأطفال الذين يتركون المدرسة سنويا، وفي سن مبكرة والمنتمين في أغلب الحالات، إن لم نقل جلها إلى الطبقات الفقيرة والمعدمة.[5] زيادة على ما نراه في بعض القرى والمداشر من عدم تكافؤ الفرص بين الذكور والإناث، ويعود هذا الوضع بالنسبة للمجتمع الجزائري إلى عدة اعتبارات سياسية واقتصادية ترتبط ببنية المجتمع الجزائري، وبالأنساق السائدة في المجتمع، ترتبط كذلك بالتوجهات السياسية العامة التي كانت سائدة قبل الانفتاح السياسي[6].

كما يلاحظ أيضا وبشكل كبير عدم التطابق والتكامل بين مؤسسة المدرسة وبين مختلف مؤسسات المجتمع بشكل عام. بالإضافة إلى غياب سياسة تربوية واعية تأخذ بعين الاعتبار كل النواحي الاجتماعية للطفل، لتفعيل التواصل بين المدرسة والأسرة والمحيط الاجتماعي[7]، وعملية التواصل هاته عملية معقدة تهدف إلى تحقيق التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع على اختلاف أعمارهم وفئاتهم وأدوارهم ومواقعهم والتفاعل الاجتماعي يعتمد على الاتصال حيث يحدث تأثير متبادل في السلوك ويتضمن التفاعل الاجتماعي عناصر ذات تنظيم نفسي واجتماعي لدى الأفراد والجماعات،

وعملية معرفية متعددة كالإحساس والإدراك والتفكير وما يترتب على ذلك من تغيرات في سلوك الفرد والجماعة. وتشمل عملية الاتصال هاته علاقة الطفل بالأسرة وبالمدرسة وبالمحيط الذي ينتمي إليه[8].

إن الإشكالية التي تطرح نفسها وبإلحاح داخل حقل سوسيولوجية التربية والتعليم في الجزائر اليوم، هي علاقة المؤسسة المدرسية بمحيطها السوسيو اقتصادي والثقافي للمجتمع، وكيف يمكن تحويلها من مجرد آلة لتكوين أطر الدولة وإعادة إنتاج ذاتها في الزمن، إلى مؤسسة تعليمية تعمل على إعداد أفراد فاعلين ومندمجين داخل المجتمع؟[9]

إن الأسر في غالب الأحيان يلقون على عاتق المدرسة مسؤولية التعليم والتربية، ولا يحملون أيضا أي مشروع دراسي لأبنائهم، كما أن هناك أيضا أجواء أسرية لا تسمح ولا تضمن شروط وأجواء الدراسة. كما أن ضعف الإمكانيات الاقتصادية للأسرة لتلبية حاجيات الطفولة يفضي إلى الاستغناء عن المدرسة قبل ولوجها أو تركها مبكرا، تؤدي بالأطفال إلى البحث عن مدخول إضافي لإعانة العائلة أو تدبير الأمور الشخصية، والحالة التي وصلت إليها المؤسسة التعليمية وكذا طوابير الخريجين العاطلين انعكس سلبا على تحفيز أطفال الطبقات الدنيا إلى الدراسة، بحيث أصبحت المدرسة في نظر الكثير منهم، مضيعة للوقت لوجود سواء إخوة لهم أو جيران موجزون عاطلون، كما أن وجود الأعداد الضخمة من الخريجين العاطلين، أعطى للمدرسة صورة فضيعة في أعين الأطفال الصغار، وخصوصا عندما تكون الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأسرة لا تسمح بشكل كاف لمتابعة الدراسة في ظروف أفضل حيث يضطر الأطفال إلى تفضيل العمل، في سن مبكرة بدلا من ضياع الوقت في المدرسة التي لم تعد تنتج في نظرهم إلا البطالة، ووجود البطالة لدى حاملي الشهادات وبنسبة كبيرة أدى إلى تغيير نظرة الآباء إلى المدرسة، لقد أصبحت تمثل شبحا مخيفا للأسر ذات الدخل المحدود، مما جعل الآباء يترددون الآن حين يسألون عن دور المدرسة، فهم يتحدثون عن واقع معاش مر، وعن مستقبل أسوأ.[10]

إن أغلب العائلات التي ضحت من أجل تعليم أطفالها تتحدث اليوم عن كونها أضاعت الكثير مما تملك من الجهد والوقت والمال، ولا نتيجة لذلك، فلماذا تعاد الكرة من جديد، فالهدف بالنسبة للآباء من الطبقات الدنيا، اليوم هو تعليم أطفالهم إلى حدود الابتدائية فقط، إنهم يقولون هذا يكفي لكي لا يبقى الطفل أميا وبعد ذلك عليه أن يبحث لنفسه عن طريق آخر، قبل فوات الأوان، مما يضع المدرسة مرة أخرى في مأزق، لقد أكدت الأبحاث أن اهتمام الآباء من الطبقة الوسطى بصيرورة العمل داخل المدرسة يعطي حافزا للأبناء للحصول على نتائج جيدة، فبالأحرى الطبقات الغنية، وهذا دليل على حضور الوضعية الاجتماعية والثقافية داخل المدرسة وترجمتها إلى استحقاقات فردية ومواهب شخصية عكس الأطفال المنحدرين من طبقات دنيا الذين لا يجدون أي توافق بين ثقافة المدرسة والأسرة والمحيط الذي يعيشون فيه، فلا يستطيع أن يصل منهم إلى نهاية المسار إلا القليل، وهو ما جعل المدرسة في علاقة غير متكاملة مع المحيط الاجتماعي، وبدت أكثر حاجة إلى إعادة النظر في ذاتها لتجاوز التفاوتات بين التلاميذ بسبب الإرث الثقافي[11].

إن مجمل هاته الأوضاع والتغيرات التي مست الأسرة والمدرسة، كانت سببا وراء تأزم الفوارق الاجتماعية وانتشار الفقر والتهميش، والاستغلال. ولذلك يمكننا القول أن هناك علاقة عضوية بين حالة المجتمع ووضعية منظومته التربوية يتأثر كل منهما بالآخر بشكل مباشر.[12]

3– المدرسة، العوائق والصعوبات:

3–1– الصعوبات التي تعوق المدرسة عن أداء دورها:[13]

أ– أخطاء التوجيه المدرسي: حيث يقبل الطلاب ذوي المستويات المتدنية في الشعب الأدبية أما المتفوقون فيقبلون في الشعب العلمية.

ب–عزلة المدرسة عن مجريات الواقع الاجتماعي: حيث تعيش المدرسة في عزلة عن المجتمع بسبب قصور وسائل التعليم والمناهج عن متابعة التطور في الواقع الفعلي للمجتمع.

ج– الاستغراق في الحاضر على حساب المستقبل: أي عدم وجود تخطيط تربوي على المديين المتوسط والبعيد وفق رؤيا تأخذ بعين الاعتبار الاستعداد للمستقبل.

3–2–أهم المتغيرات والتحولات التي تؤثر على دور المدرسة:[14]

أ–الثورة العلمية والتكنولوجية: فعلى المدرسة أن تستفيد من هذا التقدم مستخدمة الإمكانات التي يوفرها العلم الحديث وثورة الاتصالات.

ب– التغيرات في النمو والحركة السكانية: إن الزيادة السكانية أدت إلى زيادة الطلب على التعليم مما يستدعي محاولة الإصلاح والتطوير للمؤسسات التعليمية.

ج–التوتر بين العالمية والمحلية: يتسارع مفهوم العالمية أو العولمة لكافة الدول مما يؤثر على الثقافة الذاتية لكل دولة فينشا صراع بين المحلية والعالمية.

د– التغيرات الاجتماعية: التغير في العلاقات والقيم الاجتماعية، أدى إلى إعادة هيكلة الأنساق الاجتماعية مما أثر على المؤسسة المدرسية.

هـ– التحولات الاقتصادية: التحول في قاعدة النشاط الاقتصادي من اقتصاد يقوم على الزراعة والصناعة إلى اقتصاد يعتمد على الخدمات والمعلومات، مما قد يؤدي إلى تغيير في المناهج الدراسية.

و– التغيرات الثقافية والقيمية: أدت إلى اختلالات ثقافية وقيمية فعلى المدرسة التركيز على الدور الأخلاقي والقيمي.

3–3–نماذج المدرسة المستقبلية:[15]

أ– المدرسة المتعلمة: وهي تتمحور حول مبدأ التربية المستديمة وأن التعليم عملية مستمرة مدى الحياة وأن الجميع قابل وبحاجة للتعلم.

ب– المدرسة النوعية: وهي تتبنى نظرية الجودة الشاملة، وتركز على مبدأ التحسين المستمر وفق أعلى معايير الأداء، سواء في التحصيل الدراسي أو غيرها.

ج–المدرسة التعاونية: وهي تتبنى مفهوم التعلم التعاوني بين المعلم والمتعلم وبين المتعلمين مع بعضهم وبين المعلمين، و تتيح اشتراك الجميع في نقد المناهج وتقديم المقترحات للتطوير.

د–المدرسة الفعالة: وهي تتبنى مبدأ الفاعلية التربوية، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف التربوية.

هـ– المدرسة المستقلة: وهي تتبع مبدأ اللامركزية الإدارية في عمليتها الإدارية والتعليمية، وفي علاقاتها المجتمعية، وفي نفس الوقت تتبع قواعد العمل المؤسسي.

و–المدرسة المبدعة: وهي تنمي ملكة الإبداع حيث تعتقد أن كل شخص لديه قدرة على الإبداع والابتكار بشرط أن تتوفر لديه البيئة المناسبة، ويمتد نشاطها إلى المعلم وبقية أعضاء المدرسة.

ي–المدرسة العملية: وهي تربط التعليم باتجاه تهيئة الطالب للعمل، ويكون تعليمها ملبيا لاحتياجات سوق العمل والتنمية الشاملة.

ز–المدرسة المجتمعية: وهي التي تسعى لإقامة علاقات مجتمعية مبنية على أسس رشيدة بينها وبين أسر التلاميذ، ومع المجتمع بكل مؤسساته.

ر–المدرسة الممتعة: وهي تعتمد مبدأ أن التعليم ينبغي أن يكون ممتعا من خلال توفير ما يحقق ذلك في البيئة المدرسية.

الخاتمة:

تطرقنا في هذا المقال للدور الاجتماعي للمدرسة ويتمثل في المحافظة على نقل التراث الثقافي وتبسيطه وكذا المحافظة على التماسك الاجتماعي ثم تحدثنا على الأدوار التجديدية للمدرسة كالتكيف الاجتماعي وتحقيق التقارب والتوازن بين الطبقات وتنمية أنماط اجتماعية جديدة وتنمية الابتكار والإبداع الفني وإمداد الأفراد بالمهارات لأداء الوظائف المختلفة والمساعدة على تحقيق الحراك الاجتماعي الموجب وكذا المراجعة الناقدة للمذاهب المعاصرة ومن ثم انتقلنا للحديث عن مكانة الطفل في هذه المؤسسة، ثم تحدثنا عن العوائق والصعوبات التي تعوق المدرسة عن أداء دورها كأخطاء التوجيه المدرسي والعزلة عن مجريات الواقع الاجتماعي والاستغراق في الحاضر على حساب المستقبل كما تطرقنا بالحديث إلى أهم المتغيرات والتحولات التي تؤثر على دور المدرسة كالثورة العلمية والتكنولوجية والتغيرات في النمو والحركة السكانية والتوتر بين العالمية والمحلية والتغيرات الاجتماعية والتحولات الاقتصادية التغيرات الثقافية والقيمية وأخيرا تحدثنا عن نماذج المدرسة المستقبلية كالمدرسة المتعلمة والمدرسة النوعية والمدرسة التعاونية والمدرسة الفعالة والمدرسة المستقلة والمدرسة المبدعة والمدرسة العملية والمدرسة المجتمعية والمدرسة الممتعة، وهي جميعها نماذج للمدارس الحديثة التي يمكنها أن تؤدي أدوارا رائدة في مهمة تنشئة الطفل وتلقينه المعارف وترسيخ القيم والمعايير الاجتماعية لديه.

الهوامش:

1. بوفليجات غياب، **التربية والتكوين بالجزائر**،ط3 دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، 2006،، ص 114.
2. بوفليجات غياب، مرجع سابق، ص 115.
3. ج،ت،و.الميثاق الوطني 1976، ص ص 95، 98.
4. محمد عطية الإبراشي، **روح التربية والتعليم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 163.
5. تشير إحصائيات، الديوان الوطني للإحصاء، إلى أن نسب التسرب المدرسي، من مرحلة التعليم بلغت سنة 2007، 23 %، ومن مرحلة التعليم الثانوي بلغت، 29.16%.
6. تركي رابح: **مبادئ التخطيط التربوي**،ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 92

7. محمد عبد الله البكر، **تفعيل دور مؤسسات الضبط الاجتماعي في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة** ، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب . المجلد 16، العدد 32، 2001، ص 29.
8. السيد سلامة الخميسي, **الضبط الاجتماعي في المجتمع العربي من منظور تربوي**، ط2, مكتبة الرشد, الرياض, 2007، ص 217.
9. بوفليجات غياب، نفس المرجع ص 94.
10. بوفليجات غياب، نفس المرجع، ص 105
11. عبد المجيد سيد منصور، **دور الأسرة كأداة للضبط الاجتماعي في المجتمع العربي**، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب, الرياض، 1987، ص 129.
12. بوفليجات غياب، نفس المرجع، ص 106.
13. تركي رابح: **مبادئ التخطيط التربوي**،ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 92
14. محمد عطية الإبراشي، **روح التربية والتعليم**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 163.
15. محمد عطية الإبراشي، مرجع سابق، ص 169.